السّيرةُ النّبويّة للبراعم

( ٩ )

# زَوَاجٌ مُوَفَّقٌ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

# الطبعة الأولى

**جميع الحقوق محفوظة**

**يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .**

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

# إِلَىٰ بِلاَدِ الشَّامِ مَرَّةً أُخْرَىٰ

وَأَحَبَّ الشَّابُّ مُحَمَّدٌ ـ صَلَواتُ اللهِ وَسلامهُ عليه ـ التِّجارة ، لِذَلِكَ مَا إِنْ يَصِلُ إِلىٰ مَسَامِعِهِ أَنَّ قَافِلَةً خَارِجَةً مِنْ مَكَّةَ ـ وَخَاصَّةً إِلى بِلادِ الشَّامِ ـ حَتَّىٰ كَانَ يَرْغَبُ بِالخُرُوْجِ مَعَها ، وَكَثِيْراً مِنَ الأَحْيَانِ كَانَ يُصَرِّحُ بِحُبِّهِ لِمهْنَةِ التِّجَارَةِ .

وَلَـٰكِنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ ، وَيَحْرِصُ أَنْ يَكُوْنَ دَائِماً إِلىٰ جِوَارِه ، مِمَّا كَانَ يَدْفَعُهُ إِلى مَنْعِهِ مِنَ الخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ .

وَالَّذي زَادَ في ذَلِكَ أَكْثَرَ عِنْدَمَا سَمِعَ مَا سَمِعَ مِنَ الرَّاهِبِ ( بَحِيْرَىٰ ) .

وَلَـٰكِنْ يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ : تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لا تشتهِي السُّفُنُ!!

وَلَمَّا بَلَغَ الشَّابُّ مِنَ العُمُرِ خَمْساً وَعِشْرِيْنَ سَنَةً ؛ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَكَانَتِ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ ، وَمَالٍ .

وَكَانَتْ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ ؛ لِيَقُومُوا لَهَا بِالْبَيْعِ ، والشِّرَاءِ ، والمُضَارَبَةِ ؛ عَلَىٰ أَنْ تُعْطِيَهُمْ شَيْئاً مِنَ الأَرْبَاحِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ أَرْسَلَتْ لَهُ أَحَدَ عُمَّالِهَا ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَحْضُرَ إِلىٰ بَيْتِ خديْجَةَ ، وَذَلِكَ بِهدَفِ الاتِّفَاقِ عَلَىٰ عَمَلٍ تِجَارِيٍّ بَيْنَهُمَا .

فَسَأَلَهُ الشَّابُّ : وَلِمَاذَا أَنَا ، وَخَدِيْجَةُ مَعْرُوفَةٌ ، وَمَشْهُورَةٌ ، وَكل الشَّبَابِ يَتَمَنَّونَ العَمَل مَعَها ؟

قَالَ العَامِل : لِكَثْرَةِ مَا بَلَغَها عَنْ صِدْقِ حَدِيْثِك ، وَعِظَمِ أَمَانَتِكَ ، وَكَرَمِ أَخْلاقِكَ .

* * *

# صَفْقَةٌ تِجَارِيَّةٌ مُوَفَّقَةٌ

وَبَعْدَ مُدَاوَلاتٍ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَافَقَ العَمُّ عَلَى خُرُوجِهِ إِلىٰ بِلادِ الشَّامِ ، وَأَوْصَاهُ بِالْحَذَرِ ، وَالحِيْطَةِ ، وَخَاصَّةً مِنَ اليَهُودِ!

وَتمَّ الاتِّفَاقُ مَعَ خَدِيْجَةَ عَلَىٰ أَنْ يَخْرُجَ وَمَعَهُ غُلامُهَا ( مَيْسَرَةُ ) .

وَلَيْلَةَ الانْطِلاقِ هَمَسَتْ خَدِيْجَةُ فِي أُذُنِ مَيْسَرَةَ : ارْصُدْ لِي كلَّ حَرَكَاتِ هَذَا الشَّابِّ ، وَأَخْبِرْنِي حِيْنَ العَوْدَةِ عَنْ كُلِّ التَّفصيلات .

وفي صَبِيْحَةِ اليَوْمِ الثَّاني انْطَلَقَتِ القَافِلَةُ

التِّجَارِيَّةُ إلىٰ بِلادِ الشَّامِ ، وَهُنَاكَ بَاعَ الشَّابُّ مُحَمَّدٌ ـ صَلواتُ الله وَسَلامُهُ عليه ـ وَاشْتَرىٰ ، وَرَبِحَ أرباحاً عَظِيمةً .

وَعِنْدَمَا عَادَتِ القَافِلَةُ إلىٰ مَكَّةَ ؛ جَلَسَتْ خَدِيْجَةُ إلىٰ مَيْسَرَةَ ، وَقَالَتْ لَهُ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ مِنَ الأَحَادِيْثِ عَمَّا جَرَى مَعَكُمَا ، فَهَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ يَصِلُنِي فِيْها أَرْبَاحٌ بِهَذَا الحَجْمِ .

فَقَالَ مَيْسَرَةُ لِخَدِيْجَةَ : لَقَد رَأَيْتُ أُمُوراً عَجِيبةً ؛ مِنْها :

كُلَّمَا اشْتَدَّ الحرُّ جَاءَ اثْنَان لَيْسُوا كَالْبَشَرِ يَدْفَعَانِ غَيْمَةً فَوْقَ رُؤوسِنَا ، فَكُنَّا نَسْتَظِلُّ بِها مِنَ الشَّمْسِ!

وَمِنْها : أَنَّنا وُفِّقنا في البَيْعِ وَالشِّرَاءِ ،

وَرَبِحْنَا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ المرَّاتِ السَّابِقَةِ ، فَكَانَتْ تِلْكَ الرِّحْلَةُ أَفْضَلَ الرِّحْلاتِ ، وَأَكْثَرَهَا نَجَاحَاً ، وَتَوْفِيْقَاً .

* * *

# عَرْضٌ عَجِيْبٌ!!

وَعِنْدَئِذٍ فَكَّرَتْ خَدِيْجَةُ جِدِّيًّا في أَمْرِ الزَّوَاجِ مِنَ الشَّابِّ الأَمِيْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، لَـٰكِنْ كَيْفَ الْوَسِيْلَةُ إلىٰ ذَلِكَ ؟

أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ صَدِيقَتَها نَفِيْسَةَ ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الخِطْبَةَ ، والنِّكَاحَ ، شَرِيْطَةَ أَنْ يُشْرِفَ عَلَىٰ أُمُورِ تِجَارَتِهَا .

وَلَـٰكِنَّ المُشْكِلَةَ الرَّئيسيَّةَ : أَنَّ عُمْرَ الشَّابِّ كَانَ قَدْ قَارَبَ الخَامِسَةَ وَالعِشْرِيْنَ ، بَيْنَمَا كَانَ عُمْرُ خَدِيْجَةَ أَرْبَعِيْنَ عَامًا!

تقول نَفِيْسَةُ وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عمَّا جَرَى في وَسَاطَتِهَا :

كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً حَازِمَةً ، جَلْدَةً ، شَرِيْفَةً ، مَعَ مَا أَرَادَ الله بِها مِنَ الْكَرَامَةِ ، والْخَيْرِ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَباً ، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفاً ، وَأَكْثَرُهُمْ مَالاً ، وَكُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيْصَاً عَلَىٰ نِكَاحِهَا لَوْ قَدِرَ عَلَىٰ ذَلِكَ.. قَدْ طَلَبُوهَا ، وَبَذلُوا لَهَا الأَمْوَالَ .

فَأَرْسَلَتْني دَسِيْسَاً[1] إلىٰ مُحَمّدٍ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ في عِيْرِهَا مِنَ الشَّامِ .

فَقُلْتُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟

فَقَال : « مَا بِيَدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ » .

---

(١) أي : سرّاً لآتي بالأخبار .

قُلْتُ : فَإِنْ كُفِيْتَ ذَلِكَ وَدُعِيْتَ إِلىٰ الجَمَالِ ، وَالمَالِ ، وَالشَّرَفِ ، والكَفَاءَةِ أَلا تُجِيْبُ ؟!

قَالَ : « فَمَنْ هِيَ ؟ » .

قُلْتُ : خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ .

قَالَ : « وَكَيْفَ لِيْ بِذَلِكَ ؟ » .

قَالَتْ : قُلْتُ عَلَيَّ!

قَالَ : « فَأَنَا أَفْعَلُ! » .

* * *

# مَرَاسِمُ الخِطْبَةِ

وَبَعْدَ المُوَافَقَةِ والاتِّفَاقِ علىٰ مَوْعِدِ الخِطْبَةِ ؛ حَضر أَهْلُ العَرُوسَيْنِ ، وَوَقَفَ أَبُو طالبٍ عَمِّ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللهِ وسلامُه عَلَيْهِ خَطِيباً ، فَكانَ مِنْ قَوْلِهِ : الحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيْمَ ، وإِسْمَاعِيْلَ ، وَضِئْضِىءِ ـ أَصْل ـ معدٍّ ، وَجَعَلنا حَضَنَةَ بَيْتِهِ ، وَسُوَّاسَ حَرَمِهِ ، وَجَعَلَ لَنَا بَيْتَاً مَحْجُوجَاً ، وَحَرَماً آمِناً ، وَجَعَلنا الحُكَّامَ عَلَىٰ النَّاسِ ، ثُمّ إِنَّ ابْنَ أخي هَذَا مُحَمَّد بْنَ عَبْدِ اللهِ لا يوزن بِرَجُلٍ إلا رَجَحَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ في المَالِ قَلَّ ؛ فَإِنَّ المَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ ، وَمُحَمَّدٌ

مِمَّنْ قَدْ عَرَفْتُم مَرَاتِبَهُ ، وَقد خَطَبَ خَدِيْجَة بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَبَذَلَ لَهَا مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كَذَا ـ وَذَكَرَ مِقْدَارَ المَهْرِ ـ وَهُوَ وَالله! بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عظيم ، وخَطَرٌ جَلِيْلٌ جَسِيْمٌ ، فَزَوِّجُوهُ!

فَوَقَفَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَقَالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَنا كَمَا ذَكَرْتَ ، وَفَضَّلنَا عَلَىٰ ما عَدَّدْتَ ، فَنَحنُ سَادَةُ العَرَبِ وَقادتُها ، وَأَنْتُم أَهْلُ ذَلِكَ كُلِّه ، لا تُنْكِرُ العَشِيْرَةُ فَضْلَكُمْ ، وَلا يَرُدُّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَخْرَكم ، وَشَرَفَكُمْ ، وَقَدْ رَغِبْنَا في الاتِّصَالِ بحبِّكُمْ ، وَشَرَفِكُمْ ، فَاشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ بِأَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ خَدِيْجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَلَىٰ أَرْبَعِمِئَةِ دِيْنَارٍ .

* * *

# فِي ظِلاَلِ الزَّوَاجِ السَّعِيْد

وَكَانَتْ خَدِيْجَةُ كَأَحْسَنِ مَا تَكُوْنُ الزَّوْجَةُ لِزَوْجِها ، حَيْثُ عَوَّضَتْ عَلَيْهِ ﷺ مَا افْتَقَدَهُ مِنْ حَنَانِ الأُمِّ وَالأُخْتِ... ، وَكَانَ هُوَ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ الزَّوْجُ مَعَ زَوْجَتِهِ .

لِذَلِكَ عَاشَا مَعاً حَيَاةً هَادِئَةً رَاضِيَةً لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً ، وَيَشَاءُ اللهُ تَعَالىٰ أَنْ تَكُوْنَ ثَمَراتُ ذَاك الزَّوَاجِ الطَّاهِرِ سَبْعَةَ أَوْلاَدٍ ، أَرْبَع إِنَاثٍ ، وَهُنَّ : زَيْنَبُ ، وَرُقَيَّةُ ، وَأُمُّ كُلْثُومَ ، وَفَاطِمَةُ .

مَعَ ثَلاثَةِ أَوْلادٍ ذُكُورٍ ، هُمُ : القَاسِمُ ، والطَّيِّبُ ، والطَّاهِرُ .

وَمِنْ كثْرَةِ مَا ضَحَّت السَّيِّدةُ خَدِيْجَةُ فِي سَبِيْلِ إنْجَاحِ دَعْوَةِ زَوْجِها صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ كَانَ يَذْكُرُهَا بِكُلِّ خَيْرٍ ، حَتَّى بَعْدَ وَفَاتِهَا بِسَنَواتٍ ، بَلْ وَحَتَّىٰ أَمَامَ زَوْجَاتِهِ مِنْ بَعْدُ!! وَإلىٰ آخِرِ حَيَاتِهِ .

فَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَهُوَ سَيِّدُ الوَفَاءِ ، وَقِمَّةُ الأَخْلاقِ يَقُوْلُ : « مَا أَبْدَلني اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ خَيْرَاً مِنْها ، قَدْ آمَنَتْ بِيْ ؛ إذْ كَفَر بِيَ النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي ؛ إذْ كَذَّبَنِيَ النَّاسُ ، وَوَاستْنِي بِمَالِهَا ؛ إذْ حَرَمَني النَّاسُ ، وَرَزَقَني الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ منها الولد ؛ إذْ حَرَمني أوْلادَ النِّسَاءِ » .

وَسَنَتَوسَّع يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ في الحَدِيْثِ عَنْ

السَّيِّدَةِ خَدِيْجَةَ ، خاصَّةً عِنْدَ التَّحَدُّثِ عَنْ إسلامِهَا وَبَعض فَضَائِلِها...

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *